جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية

أ.د. محمد أحمد الصالح

٢٠٠٣م

التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية

أ. د. محمد أحمد الصالح

١ـ مقدمـــة :

بينما يشهد عصرنا مظاهر مبهرة من تقدم العلم ومنجزاته إلى أبعاد كانت خيالاً، نراه يشهد في الوقت ذاته انتشار مظاهر من الفساد السلوكي الشامل لدى الإنسان، وتراجع الفضائل والقيم الأخلاقية والالتزام الديني الطاهر.

ولعل هذا المؤتمر يجسد كشفاً للغطاء عن واقع استفحل وانتشر على صعيد عالمي، لا تكاد تخلو منه دولة على وجه الأرض، وما أكثر ما نسمع اليوم عن وقائع من الفساد يشترك فيها ويمارسها قادة دول ومن يليهم إلى أدنى درجات السلم الاجتماعي، وصدق في هؤلاء قوله تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾** ﴾(سورة الروم).

في هذا الواقع المحزن، يأتي المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد ليكون بذرة طيبة بإذن الله.

ولقد استعرضنا محاور هذا المؤتمر و موضوعاته واخترنا أن يكون نصيبنا منها إسهاما بورقة عن موضوع الفساد وصوره والوسائل الشرعية للعلاج ولسوف تقتصر هذه الورقة على نقاط ثلاث هي :

أولاً : تحديد مصطلح الفساد في اللغة والشريعة الإسلامية (قرآناً وسنة).

ثانياً : جوانب من صور الفساد في المنظور الإسلامي.

ثالثاً : حكم الشرع في المفاسد.

٢ـ تحديد معنى الفساد في اللغة والشريعة الإسلامية

٢ . ١ معنى الفساد في اللغة وتعريفه في الاصطلاح :

الفساد لغة[١] : مصدر فسد يفسد فسادا وهو ضد الصلاح ، وقيل الفساد نقيض الصلاح ، والفساد في الأرض مأخوذ من فسد اللحم يقول ابن جرير الطبري رحمه الله في معنى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾** ﴾ (سورة البقرة) .

«اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي أضافه الله إلى هذا المنافق فقال : تأويله ما قلنا فيه من قطعه الطريق ، وإخافته السبيل كما حدث من الأخنس بن شريق ، وقال بعضهم : بل معنى ذلك قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ، وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض[٢] والآية بعمومها تعم كل فساد في أرض أو مال أو دين .

الفساد في الاصطلاح : الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عليه أو كثيراً ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة[٣] وقيل : الفساد هو انتقاض صورة الشيء[٤] .

وقيل : هو جعل الشيء فاسداً خارجاً عما ينبغي أن يكون عليه وعن

---

(١) المقاييس ٤/ ٥٠٣ ، تهذيب اللغة ١٢/ ٣٦٩ ، لسان العرب مادة فسد
(٢) جامع البيان ٢/ ٣٣٠
(٣) المفردات ٣٩٧
(٤) التوفيق ٢٦٠

كونه منتفعا به ، وهو في الحقيقة إخراج الشيء عن حالة محمود لا لغرض صحيح[1] .

وفساد البيوع ما كان مشروعاً بأصله غير مشروع بوصفه ، وضده الصحة ، وقال الإمام ابن الجوزي : والفساد تغير الشيء عما كان عليه من الصلاح ، وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته ، ويقال فيه مع انتقاضها ، ويقال فيه إذا بطل وزال .

٢ . ٢ من معاني كلمة الفساد في القرآن الكريم :

ورد لفظ الفساد في القرآن الكريم قرابة ٤٣ آية ، تحمل عدة معان نورد سبعة منها :

١ـ الفساد بمعنى المعصية ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾** ﴾ (سورة البقرة) فالفساد هو الكفر والعمَل بالمعصية والعصيان في الأرض ؛ لأن إصلاح الأرض والسماء يكون بطاعة الله ورسوله [2]

قال سيد قطب رحمه الله (إنهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع ، بل يضيفون إليهما السفه والادعاء ولا يكتفون بنفي السفه عن أنفسهم ، بل تجاوزوه إلى التبجح والتبرير ، والذين يفسدون اشنع الفساد ، ويقولون إنهم مصلحون كثيرون جداً في كل زمان يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم متى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت

---

(١) الكليات للكفوي ١٥٤

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١ : ١٢٥ ، والدر المنثور ١ : ٧٦ ، وتفسير ابن كثير ١ : ٥٠ .

سائر الموازين والقيم والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في أنفسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ولا يثوب إلى قاعدة ربانية)[1].

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴿٥٦﴾ ﴾(سورة الأعراف) أي لا تفسدوها بعد ما أصلحها الأنبياء وأتباعهم، فالله سبحانه بعث محمد r إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم .

فمن دعا إلى خلاف ما جاء به فهو من المفسدين في الأرض . قال ابن كثير رحمه الله : " ينهى الله عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد فنهى عن ذلك[2] " .

٢ ـ الفساد بمعنى الهلاك ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴿٤﴾ ﴾(سورة الإسراء) حيث كان الفساد الأول فبعث الله عليهم عدوا فاستباحوا الديار واستحيوا النساء واستعبدوا الولدان وخربوا المسجد فغبروا زمانا ثم بعث الله فيهم نبيا وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان ، ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء حتى قتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم بختنصر قتل من قتل منهم وسبى من سبى وخرب المسجد فكان بختنصر الفساد الثاني .

٣ـ الفساد بمعنى القتل ومنه قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**

---

(١) في ظلال القرآن ١ : ٤٤

(٢) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٢٣

مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾(سورة الكهف) ، وقد كان فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس .

وقال تعالى : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾(سورة النمل) يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أن عقروا الناقة وهموا بقتل صالح أيضا بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه أنهم ما علموا بشيء من أمره وأنهم لصادقون[1] .

قال سيد قطب : " إن النفس الإنسانية مليئة بالانحرافات والالتواءات خاصة حين لا تهتدي بنور الإيمان الذي يرسم لها الطريق المستقيم فهؤلاء الرهط الذين تمحضت قلوبهم وأعمالهم للفساد والإفساد لم يعد بها متسع للصلاح والإصلاح فضاقت نفوسهم بدعوة صالح وحجته [2] "

٤ ـ الفساد بمعنى التخريب والتدمير ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة البقرة) ، قال الطبري : والإفساد في الأرض العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه وتضييع ما أمر الله بحفظه .

فالملائكة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، يعنون بذلك أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك قال : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾(سورة البقرة) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣/ ٣٤٤

(٢) في ظلال القرآن ٥ : ٣٤٤

فلهذا فالمجتمع المسلم يقيم حياته كلها على شرع الله، وينظم شؤونه وعلاقاته على أحكام هذه الشريعة. . ومن ثم يكفل لكل فرد كما يكفل للجماعة كل عناصر العدالة والكفاية والاستقرار والطمأنينة، وكذلك يصبح الاعتداء في مثل هذا المجتمع الفاضل العادل المتوازن المتكافل على النفس والحياة أو على النظام العام أو على الملكية الفردية، جريمة بشعة منكرة، مجردة عن البواعث المبررة بصفة عامة، وهذا يفسر التشدد ضد الجريمة والمجرمين بعد تهيئة الظروف المساعدة على الاستقامة عند الأسوياء من الناس، وتنحية البواعث على الجريمة من حياة الفرد وحياة الجماعة.

وهذا المجتمع القائم على شريعة الله هو الذي يستحق أن تصان فيه الدماء، وتصان فيه الأموال، ويصان فيه النظام العام، وأن توقع على المخلين بأمنه المعتدين على الأرواح والأموال فيه العقوبات التي نصت عليها الشريعة الإسلامية، ذلك أنه مجتمع رفيع فاضل ومجتمع عادل، ومجتمع مكفولة فيه ضمانات العمل وضمانات الكفاية لكل قادر ولكل عاجز، ومجتمع تتوافر فيه الحوافز على الخير وتقل فيه الحوافز على الشر من جميع الوجوه فمن حقه إذن على كل من يعيش فيه أن يرعى هذه النعمة التي يسبغها عليه النظام، وأن يرعى حقوق الآخرين كلها من أرواح وأموال وأعراض وأخلاق، وأن يحافظ على سلامة دار الإسلام التي يعيش فيها آمناً سالماً غانماً مكفول الحقوق جميعها، معترف له بكل خصائصه الإنسانية وبكل حقوقه الاجتماعية بل مكلفاً بحماية هذه الخصائص والحقوق فمن خرج بعد ذلك كله على نظام هذه الدار فهو معتد أثيم شرير يستحق أن يؤخذ على يديه بأشد العقوبات[1].

(١) في ظلال القرآن بتصرف ٢ : ٨٧٣

قال تعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾ (سورة المائدة) ، أي من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا عند المقتول في الإثم ، ومن أحياها فاستنقذها من هلكة فكأنما أحيا الناس جميعا عند المستنقذ .

وقيل معنى ذلك أن قاتل النفس المحرم قتلها يصلى النار كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن أحياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا .

هذا بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض ، أعلم عباده ما الذي يستحق المفسد في الأرض من العقوبة والنكال في الدنيا وهو القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض ، وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم [1] .

فمن قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعا لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس .

ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار [2] .

---

(١) تفسير ابن اكثير ٢/ ٤٦

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٠

قال ابن كثير والمحاربة في قوله ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾ هي المضادة والمخالفة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الإفساد في الأرض[1].

٥ـ الفساد بمعنى المنكر ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا كَانَ منَ الْقُرُون من قَبْلكُمْ أُوْلُوا بَقيَّة يَنْهَوْنَ عَن الْفَسَاد في الأَرْض إلاَّ قَليلاً مّمَّنْ أَنجَيْنَا منْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرفُوا فيه وَكَانُوا مُجْرمينَ ﴿١١٦﴾** ﴾(سورة هود) أي فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من المنكرات والفساد في الأرض، وقوله إلا قليلاً أي وجد من ينهى عن الفساد ولكنهم قلة وهم الذين أنجاهم الله عند حلول عذابه.

لذا أمر سبحانه هذه الأمة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الْخَيْر وَيَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَر وَأُوْلَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ ﴿١٠٤﴾** ﴾ (سورة آل عمران).

وقال ﷺ: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه).

٦ـ الفساد بمعنى السحر ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جئْتُم به السّحْرُ إنَّ اللَّهَ سَيُبْطلُهُ إنَّ اللَّهَ لا يُصْلحُ عَمَلَ الْمُفْسدينَ ﴿٨١﴾** ﴾(سورة يونس) والمقصود به الذين يضللون الناس بالسحر أو الملأ الذين جاءو بالسحرة بنية الفساد والإبقاء على الضلال[3].

٧ـ الفساد بمعنى القحط ومنه قوله تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ في الْبَرّ وَالْبَحْر بمَا**

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٨

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٨

(٣) في ظلال القرآن ٣ : ١٨١٥

كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ (سورة الروم)، قيل : نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا ، وقيل : بالنقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي[1]. قال سيد قطب : " إن فساد قلوب الناس وعقائدهم وأعمالهم يوقع في الأرض الفساد، ويملؤها براً وبحراً بهذا الفساد ويجعله مسيطراً على أقدارها غالباً عليها[2].

ج- من معاني كلمة الفساد في السنة النبوية :

وقد تحدثت السنة عن الفساد والمفسدين في أكثر من أربعين حديثاً نختار بعضاً منها :

قال ﷺ : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[3] " معناه إن لم تزوجوا من ترضون دينه وخلقه وترغبوا في مجرد الحسب والجمال أو المال فسيكون فساد كبير لأنه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء فيكثر الافتتان بالزنى وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة " .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ، قالوا: بلى، قال : صلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)، وفي رواية : "هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» .

---

(١) ينظر : ابن كثير ٣/ ٤٣٦

(٢) في ظلال القرآن٥ : ٢٧٧٣

(٣) رواه الترمذي ٣/ ٣٩٥، وابن ماجة ١/ ٦٣٢

جاء في النهاية الحالقة الخصلة التي من شأنها أن تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر، وقيل : هي قطيعة الرحم والتظالم .

وفي الحديث حث وترغيب على إصلاح ذات البين ونهي عن الإفساد وأنه خير من نوافل العبادات لما يترتب عليه من منافع دنيوية ودينية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيح فيه الكذب .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» [1] .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : (إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)[2] أي إن الأمير إذا ابتغى الريبة أي طلب التهمة في الناس بنية فضحهم أفسدهم وجاهر بسوء الظن فيهم فيؤدي بهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم فيفسدوا .

ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات فبذلك يقوم النظام ، لأن الإنسان قل ما يسلم من العيب .

فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتجسس عليهم[3] .

وقال ﷺ : (إن الدين ليأرزُ إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبلَ إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)[4] .

---

(١)سنن الترمذي ٥/ ١٨

(٢) سنن ابي داود ٤/ ٢٧٢

(٣) ينظر : فيض القدير ٢/ ٣٢٣ .

(٤) رواه الترميذي وقال حسن صحيح

والمعنى أن الدين آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الظلمة على بلاد الإسلام يعود إلى الحجاز كما بدأ منه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)[2]

والمراد أي سابقوا وقوع الفتن بالاشتغال بالطاعات قبل حلولها ، خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم أي متى تعبدون ربكم فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف تعبدوه مع كثرة الشواغل وضعف القوى[3] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[4] وفي الحديث حث على إصلاح القلب وحمايته من الفساد وبيان أن صلاح الجسد وفساده تابع للقلب[5] .

---

(١) ينظر : تحفة الاحوذي ٧/ ٣٢٠
(٢) رواه الترمذي ٤/ ٥٥٢ وقال حسن غريب
(٣) ينظر : فيض القدير ١/ ٥٥٩
(٤) متفق عليه .
(٥) ينظر : شرح النووي على مسلم ١١/ ٢٩ .

٢ـ جوانب من صور الفساد في المنظور الإسلامي

بعد بيان معنى الفساد وبعض معانيه الواردة في الكتاب والسنة نبين بعض صور الفساد في مظاهر السلوك الإنساني العام، والتي تدخل في إطار الفساد السياسي والفساد المالي والفساد الإداري والفساد الاجتماعي وغير ذلك من الأنواع التي جاءت الشريعة بتحريمها ومنعها .

وينبغي أن ندرك بأن تزايد اهتمام الباحثين والمنظمات الدولية بموضوع الفساد وأسبابه وأثره على المجتمعات وطرق علاجه، ناتج عن انتشار الفساد وتأثيره الكبير في مسيرة الأمم والمجتمعات ولما له من أبعاد وانعكاسات على مختلف جوانب الحياة.

ولا شك أن المجتمعات كافة تحتوي على قدر معين من الفساد ، وإن كانت المجتمعات الأخرى تحارب الفساد ومظاهره لتحقيق مصالحها الدنيوية، فإن المجتمع المسلم يبقى متميزاً عن غيره من المجتمعات لكونه يحارب الفساد طاعة لأوامر الله ورسوله، وبذلك تتحقق المصالح الدينية والدنيوية ، إذ أن آثار الفساد ومضاعفاته تؤثر في المجتمع وسلوكيات الأفراد وقيمهم ولا تقتصر على هذه الجوانب بل يمتد أثره على الاقتصاد والسياسة والأمن وغيرها من مقومات المجتمع .

ولذا كان واجباً على الجماعات الإنسانية أن تحارب الفساد وإذا كان ذلك بالنسبة لغير المسلمين واجباً إنسانياً فهو بالنسبة للمسلمين واجب ديني أيضاً .

والإسلام حارب الفساد بشتى صوره، وإن للإفساد في الأرض صوراً

كثيرة وألواناً عديدة لا تكاد تقع تحت الحصر، ألا وإن أعظم صور هذا الإفساد: الشرك بالله عز وجل، وهو ظلم عظيم كما قال سبحانه: ﴿... إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (سورة لقمان). وإنه لظلم عظيم إذ يسوي الخالق القادر الرازق المدبر المحيي المميت، المتفرد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته بالمخلوق العاجز الفاني.

فأي فساد في الأرض أعظم من فساد من يدعو مع الله أحداً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً ولا نشوراً.

وإذا كان الطغاة في الماضي يدعون الألوهية والربوبية فإن طغاة العصر يتجبرون بسلطانهم ومالهم وبما اخترعوه من مبادىء مغرية يتسلقون بها فوق الرقاب ليحطموا الشعوب ويفسدوا ويستعبدوا ويسرقون خيراتها وينهبوا ثرواتها، ويفرضوا عليها آراءهم وإرادتهم وسياستهم وأن تتخلى عن عقيدتها وممتلكاتها لينقضوا عليها بجشعهم الذي لا يعرف الحدود ولا المواثيق والمبادىء التي طالما سعى لنشرها ونادى بها وبالعمل بها ولكنه سرعان ما يدوسها إن تعارضت مع مصلحته وحاله كمن وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (سورةالنور).

فبعد أن سقطت البشرية في هاوية الانحراف والفساد وبعد أن استبد الأقوياء وابتزت الأموال والأعراض وفسدت القيم والأخلاق جاء الإسلام ليحطم سلاسل الفساد التي قيدت البشرية، فقضى على الشرك بكل صوره، وكان الشعار الخالد الذي عمل به الرسول ﷺ وهو يحطم الأصنام

البشرية قول الله جل وعلا : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة آل عمران) .

فما أحوجنا إلى قائد ماهر يكفر بالطواغيت ويحطم الأغلال ويمزقها وينشر ألوية السلام بين البشرية المتناحرة والمتهاوية بالخلافات القومية والعرقية والمصالح المتضاربة والبعيدة كل البعد عن منهج الحق .

فالحكم بما أنزل الله هو المنهج الحق والعدل والرفق والسماحة وبه يتحقق إبعاد الفساد ودحر أهله ، فبالتمسك بديننا يتم القضاء على الفساد وننعم بالصلاح والسعادة في كل شؤوننا .

ومن صور الفساد في الأرض الذنوب والمعاصي بأنواعها لما يترتب عليها من ضرر عام ومن عقوبات فهي تمحق بركة الدين والدنيا ، يقول ابن القيم رحمه الله : " وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة الأعراف) ، وقال تعالى : ﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا** ﴿١٦﴾ **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ...** ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة الجن)وقال ﷺ : (وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)[1][2] .

فبتعداد شمولي لصور الفساد بالمنظور الإسلامي، نشير إلى أن من أعظم المعاصي والذنوب تلك الكبائر الموبقات المهلكات التي توعد الله من اقترف منها شيئاً بأليم عقابه، وبينها رسول الله ﷺ ومنها : السحر، وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٧٧، وابن ماجة ٢٢ , ٤، والحاكم ١ : ٤٩٣
(٢) الجواب الكافي ١٣٢ .

يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، والزنا، ومعاقرة الخمر، وتعاطي المخدرات، والسرقة، وقطيعة الرحم، وإخافة السبيل وغير ذلك من الموبقات التي يزينها الشيطان لمقترفها حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن، فيحسب أن ما هو عليه من الإفساد في الأرض هو الصلاح، شأن أهل النفاق الذين أخبر سبحانه عن حالهم بقوله: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾** ﴾ (سورة البقرة).

ويستوقفنا تباعاً هنا واجب توضيح بعض هذه المفاسد من منظور إسلامي، لننتهي بعده إلى حكم الشرع بتحريم المفاسد كلها، باعتبار هذا التحريم من مقتضيات الأصول الكلية.

فقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق من صور الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾** ﴾ (سورة الفرقان) قال القرطبي رحمه الله: "ودلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنى ولهذا ثبت في حد الزنى القتل لمن كان محصنا أو أقصى الجلد لغير المحصن.[1]

وتتفاوت درجات القتل ولهذا كان أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي ويليه من قتل إماماً أو عالماً يأمر بالقسط، وقد جعل سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار وغضب الجبار.

وأي فساد أعظم من إراقة دماء الأبرياء؟

---

(١) تفسير القرطبي ج: ١٣ ص: ٧٦

فهاهي الأيام تكشف زيف دعاوى حقوق الإنسان ، ومن هو الإنسان الذي يريدون حفظ حقوقه وكيف؟ ويا ليتهم ينهلون من الإسلام وتعاليمه لحفظ حقوق الإنسان ودمه وعرضه وكرامته وحريته حتى وإن كان عدواً وتفصيل هذا موجود في أبواب الجهاد والسيَر وغيرها من أبواب الفقه الإسلامي .

وإذا كان الإسلام يكره الحروب ومآسيها إلا أنه يقرر أن السكوت عن الفساد ومجاراة الظالمين والكفر بالقيم خيانة لله ولرسوله لا يمكن للمسلم الصادق أن يسكت عن ذلك ولا أن يقبله أو يقره بل يجب أن يتصدى له بكل الوسائل الممكنة متجنباً القتل والإفساد في الأرض ما استطاع إلى ذلك سبيلاً حتى لا تراق الدماء وتزهق الأرواح البريئة تحت شهوة الانتقام والضغائن والأحقاد العمياء .

لقد جاء الإسلام ليهدم النظم الفاسدة ويقيم مكانها نظاماً عادلاً شاملاً لكل مرافق الحياة المختلفة ليس في جزيرة العرب وحدها وإنما في كل المعمورة حتى لا يكون فيها معبود إلا الله ، قال تعالى ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾** ﴾(سورة الأنفال) .

ومن صور الفساد الزنا وهو من أعظم الفساد في الأرض ، قال تعالى : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾** ﴾ (سورة الإسراء) فالزنا اعتداء على الأعراض يفضي إلى اختلاطَ الأنساب وهتك الحرمات ، قال ﷺ : (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : وذكر منها الثيب الزاني) .

واللواط وهو جريمة قوم لوط وهو أعظم فحشاً من الزنا وصف الله عز

وجل أهله بوصفين في غاية القبح فقال : ﴿ ... **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ** ﴿٧٤﴾ ﴾ (سورة الأنبياء)، وقال ﷺ : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) .

ومن صور الفساد في الأرض السحر ، قال ﷺ : (حد الساحر ضربة بالسيف[1] وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ جعله من السبع الموبقات، فهو كفر بالله وإتباع للشياطين .

ومن صور الفساد البغي وهو الخروج على الإمام مغالبة وهو جريمة محرمة قد تكون سبباً في إهدار دم الباغي لما فيها من شق لعصا الطاعة وتهديد لأمن الجماعة ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴿٩﴾ ﴾(الحجرات) .

ومن الفساد في الأرض شرب الخمر ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٩٠﴾ ﴾ (سورة المائدة)ولعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له[2]، فبيع الخمر والاتجار بها من الفساد في الأرض .

والحكم هذا يشمل المخدرات والمسكرات بأنواعها ؛ فعن عبد الله بن

---

(١)سنن الترمذي ٤/ ٦٠

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٥٨٩

عمر قال : قال رسول الله ﷺ: (كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام)[1] .

وكذلك الربا وقد حرم الله قليله وكثيره وتوعد أصحابه بالمحق وآذنهم بالحرب، قال تعالى : ﴿ ... **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ... ﴿٢٧٥﴾ ﴾ (سورة البقرة)، وقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾** ﴾(سورة البقرة) ، وعده رسول الله ﷺ من الموبقات كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[2] .

ومن صور الفساد أكل أموال الناس بالباطل ، لذا فقد حرم الله الربا والقمار والرشوة والغش والتدليس والغرر والاحتكار ونحوه من كل ما يفضي إلى العداوة والبغضاء وأكل لأموال الناس بالباطل ، قال عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ... ﴿٢٩﴾** ﴾ (سورة النساء) . وقالَ تعالى : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾** ﴾ (سورة البقرة) .

الظلم بأنواعه من أعظم الفساد في الأرض فبالعدل قامت السماوات والأرض، وأرسل الله رسله عليهم السلام وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط، ودرجة قبحه وإثمه بحسب مفسدته .

---

(١)سنن ابن ماجة ٢/ ١١٢٤

(٢) متفق عليه .

عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1] .

ولا تستقيم أمور الناس إلا بالعدل قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام وقد قال النبي ﷺ ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم فالباغي يصرع في الدنيا وان كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق)[2] .

---

(١) صحيح مسلم ج : ٤ ص : ١٩٩٤

(٢) الاستقامة ج٢ ص ٢٤٧

ومن صور الفساد المفاسد الأخلاقية ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴿٩٠﴾ ﴾ (سورة النحل) ، وقد بين ﷺ أهمية الأخلاق بقوله : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، وقوله ﷺ : (أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون) .

ومن أسباب انتشار المفاسد الأخلاقية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانتشار وسائل اللهو ونشر الرذيلة في وسائل الإعلام من القنوات الفضائية والمجلات والشبكة العنكبوتية (الانترنت) وغيرها ، والاختلاط في الأسواق وتساهل النساء في لبس الحجاب الشرعي ، وتراجع العامل الديني كعامل رقابي ذاتي ، وتراجع الدور الرقابي للأسرة ، وتراجع الدور التربوي في المدارس والجامعات .

ومن وسائل محاربة المفاسد الأخلاقية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعناية بتربية الأولاد في داخل الأسرة ، وبإعادة دور المساجد ، واعتناء المربين في المدرسة بالأخلاق وتنشئة الأبناء والبنات عليها ، وبنشر الفضيلة وحسن الخلق عبر وسائل الإعلام المختلفة وبإقامة الندوات والمحاضرات والدروس العلمية والتربوية وغيرها من الوسائل التي تحتاج إلى مزيد من البيان .

ومن صور الإفساد في الأرض أيضاً : التلوث البيئي الذي عمّ ضرره ، واتسع خطره فتأذى به الإنسان والنبات والحيوان في البر والطير في الجو حتى الحيتان في جوف الماء ، كل ذلك بسعي من الإنسان المادي دون النظر لعواقب الأمور ودون أخذ الحيطة والحذر الواجبين وإعراضاً منه عن النصح والتفكير والتقدير لعواقب الأمور ، وهمه الأول المنافسة للسيطرة على الثروات والهيمنة وجرياً وراء سرعة الإنتاج ، وبريق المادة ، وكثرة الكسب .

قال تعالى: ﴿ ... وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... ﴿٨٥﴾ ﴾ (سورة الأعراف)قال القرطبي رحمه الله: نهى سبحانه عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر فهو على العموم على الصحيح من الأقوال، وقال الضحاك معناه لا تعوروا الماء المعين ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا، فديننا يأمرنا بالحفاظ على البيئة وعلى مظاهر الحياة في الأرض ويحثنا على عمارتها واستغلال خيراتها للنماء والخير والمنفعة واسمع لقول رسول الله ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)[1].

فالمفسد في الأرض هو الذي يعبث في عمرانها وقد وردت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ بالنهي عن قطع الأشجار والتخريب في أثناء الحروب ولو كان ذلك في أرض العدو، فكيف يسوغ ذلك في أرض الإسلام في حال الأمن والسلام؟ ويزداد الفساد سوءاً ويعظم إن كان في بلاد حرمها الله وعظمها واصطفاها واختارها وجعلها مقدسة كبلاد الحرمين ومسرى رسولنا ﷺ.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من ذبح عصفورا بغير حقه سأله الله عز وجل عنه يوم القيامة، قيل: وما حقه، قال: يذبحه ذبحا ولا يأخذ بعنقه فيقطعه)[2].

فهذه بعض توجيهات رسولنا ﷺ قبل أن تعرف البشرية جمعيات المحافظة على البيئة والحيوان وغيرها من المنظمات.

فتلك بعض صور الفساد التي حرمها الإسلام، وقد نهج الإسلام سياسة تتخطى الآفاق الضيقة والحدود القومية والعصبيات الجنسية

---

(١) رواه البزار ورجاله اثبات ثقات

(٢) مسند أحمد ٢: ١٩٧

والنعرات الوطنية والتجمعات الاقتصادية والمصالح السياسية حيث جاء بشريعة جعلت من كل أراضي الإسلام وحدة متكاملة لا يفصلها لون أو عرف أو جنس أو حدود أو لغة وربط بين جميع المسلمين برباط الإخوة والشورى والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات أمام الخالق جلت عظمته بحيث لا يحق لأي كان أن يدعي امتيازاً أو جاهاً أو سلطة إلا في الحدود المعينة في الشريعة ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿١٣﴾ ﴾(سورة الحجرات) .

فكل الشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها وتعدد لغاتها وتباعد أوطانها تستطيع أن تعيش في كنف الإسلام وفي ظل سلطانه ودولته موفورة الكرامة محفوظة الحقوق فلا تخضع إلا لأوامر الله ورسوله ﷺ والتي ترفض الفساد بشتى صوره والتعالي والجبروت في الأرض ، فكل الذين تسول لهم أنفسهم أن يستعبدوا الناس ويذلوهم أويخضعونهم لسلطانهم بالقوة والقسر وينشرون الفساد في الأرض لفي ضلال مبين عن الإسلام ومبادئه ولو انتسبوا إليه .

وهاهو كتاب الله يندد بالطغاة المتجبرين قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القصص) .

وقال سبحانه : ﴿ **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴿٥١﴾ ﴾(سورة النمل) .

وإن من أظهر صور الفساد في الأرض ما يفعله اليهود اليوم في الأرض المقدسة أرض الإسراء والمعراج من ظلم وقتل واعتداء وبغي وهدم وتشريد

وحصار لم يستثن شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً، ولا عجب فهم أهل الفساد في الأرض ، قال تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الإسراء)، وقال سبحانه : ﴿ ... **وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴿٦٤﴾ ﴾(سورة المائدة) قال ابن كثير رحمه الله : (أي من سجيَتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض والله لا يحب من هذه صفته)[1] .

ونظرة تحليلية للفساد وصوره نجده يدخل في العقائد والآراء والأخلاق وكذلك فيما يتناوله الإنسان من مطعوم وملبوس وفي المعاملات الجارية بين الأفراد والجماعات من الناس بل ويدخل الفساد في معاملة الإنسان للحيوان وتعامله مع الأرض بخيراتها وما أودع الله فيها من ثروات وموارد ومنافع .

لذا نجد الإسلام يعلن حربه على الفساد حيث أنكر على أصحاب الملل الباطلة وأقام الحجج على بطلانها وقرر العقيدة السليمة وثبتها بالبراهين القاطعة وحارب الشرك بالله ، ونهى عما يفضي إليه كالمبالغة في تعظيم المخلوقات وصرح ببطلان كل عبادة يتوجه بها المخلوق لغير الله ، ونظر في الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية فوجدها تغيرت وتبدلت وبعدت عن هداية الله . ومع هذا فنحن نتعامل معهم باللين والحسنى ونحافظ على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ... ﴿٨﴾ ﴾ (سورة المائدة)، وقال تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴿٨﴾ ﴾ (سورة الممتحنة)، هكذا نعاملهم ما داموا مسالمين لا تمتد إلينا أيديهم بالسوء .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ : ٧٧

وأما الأخلاق فقد وجه إليها الإسلام جانباً كبيراً من العناية فأنكر الجبن والبخل والكذب والخيانة والرياء والحسد والغيبة والنميمة إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة ، وحث على الأخلاق الكريمة ، تأسياً برسول الله ﷺ حيث وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾(سورة القلم)، فالمصطفى الكريم هو الأسوة والقدوة الحسنة قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾(سورة الأحزاب) .

وأما جانب العبادات فقد قرر الشارع الحكيم أوضاعها ورسم حدودها ونبه على شروط صحتها كالصلوات والزكاة والصيام والحج ونبه على فساد أعمال قد يحسبها الناس عبادات تقربهم إلى الله ، نبه على ذلك بوجه عام قال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .

وأما المطعومات فقد أباح الطيبات وأذن في التمتع بها وحرم الخبائث ونهى عنها ، وأما الملبوسات فقد حرم بعضها على الرجال كلبس الحرير والذهب لما في استعمالها من الترف والرفاهية والرجال في حاجة إلى الكمال النفسي لا إلى زخرف المظهر .

وأما المراكب فقد أذن في ركوبها ولكنه نهى عن ركوب الحيوان الذي يلحقه الضرر بركوبه كالبقر .

وأما المعاملات بين الناس فقد جاءت نصوص كثيرة في شأنها وتفصيل أحكامها على مختلف أنواع المعاملات ، ويدخل في هذا القبيل حقوق الزوجين والأقارب والأطفال فيعد هذا من قبيل المعاملات كأحكام النكاح وأحكام الطلاق والحضانة والنفقات .

ثم إن الإسلام قصد إلى أشياء قصد الوسائل التي لا تتحقق المقاصد الأصلية إلا بها كالجهاد وعقوبات الجناة للزجر عن الاعتداء على الدين والنفس والعرض والمال والعقل .

ولو تأمل الإنسان فيما مضى من صور الفساد لتبين له أنها تعود بالضرر على الإنسان في العاجل والآجل، ولذا قال الشاطبي رحمه الله : (إن الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة وهي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال وزاد البعض العرض)[1] ونجد أن صور الفساد التي مضت تفسد على الإنسان هذه الضروريات الخمس كلها أو بعضها فجاءت الشريعة بتحريم المفاسد وما يفضي إليها .

فالإسلام لم يقتصر على إصلاح العقيدة وتنظيم صلة العبد بربه كما يزعم أهل الزيغ والنفاق بل هو دين سماوي نظر إلى كل جوانب الحياة فصل نظماً لها ووضع أصولاً عامة وتجاوزها والخروج عنها هو الفساد في الأرض .

وإذا كان الفساد في الأرض إنما يقع فيها بما كسبت أيدي الناس، وبما اجترحوه من سوء وعصيان ومخالفة لأوامر الله عز وجل وأوامر رسوله ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ... ﴿٤١﴾ ﴾(سورة الروم)، فإن علاج ذلك الفساد ورفعه إنما يكون أيضاً بما تكسبه أيدي الناس؛ لأنه سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، بالتوبة النصوح والتحاكم إلى شرعه والرضا به ثم الأخذ بأسباب القوة وعوامل البناء والرقي والتقدم التي سخرها الله في الأرض .

قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾** ﴾ (سورة الأعراف) .

وصفوة القول : أن نتوجه إلى المولى الكريم قائلين : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) الموافقات ٣ : ٤٧

المراجع

المراجـــع

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (١٣٩١هـ) . معجم مقاييس اللغة، طبعة ثانية، تحقيق عبدالسلام هارون .

ابن كثير، إسماعيل . تفسير القرآن العظيم، طبعة عيسى البابي الحلبي .

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب، طبعة دار لسان العرب .

الإمام أحمد بن حنبل . مسند الإمام أحمد بن حنبل، ترتيب أحمد بن عبدالرحمن البناء المسمى «الفتح الرباني ومعه بلوغ الأماني»، طبعة دار إحياء التراث العربي .

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(١٣٩٤هـ) . الجامع الصحيح، طبعة ثانية، دار الفكر، بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان .

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (١٣٩٩هـ.) . الصحاح، طبعة ثانية، بيروت : دار العلم للملايين .

الحاكم، أبو عبدالله محمد . المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، حلب : نشر مكتب المطبوعات الإسلامية .

الرازي، محمد بن أبو بكر، (١٤٠٥هـ) . مختار الصحاح، طبعة مؤسسة دار علوم القرآن .

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت : نشر محمد أمين .

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (١٤٠٣هـ) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة الأمير أحمد بن عبدالعزيز .

الشوكاني، محمد بن علي، (١٢٥٠هـ) . نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، طبعة دار الفكر .

الطبري، محمد بن جرير، (١٣٩٢هـ). جامع البيان في تفسير القرآن، طبعة ثانية، بيروت : دار المعرفة.
الفيروز ابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط.
القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي، (١٣٨٧هـ). الجامع لأحكام القرآن، طبعة ثالثة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
قطب، سيد. (١٤٠٠هـ)، في ظلال القرآن: بيروت، دار الشروق.
النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بشرح السيوطي مع حاشية السندي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
النووي، أبو زكريا محي الدين، (١٣٩٥هـ). روضة الطالبين، نشر المكتبة الإسلامية.